الفيلسوف الشاعر أبو الصلت
أمية بن عبد العزيز الأندلسي-الجزء الثاني-

د – عالية علي
قسم الأدب العربي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة باتنة

ملخص:

يتناول هذا المقال علاقة الفيلسوف الشاعر أبي الصلت بالحكم والحكام ، وكذا علاقته بالمرأة ونظرته إليها ، ونظرته إلى الطبيعة واندماجه فيها، و رؤياه العامة للحياة، في تجربة شعرية متميزة بقيمها الفكرية والجمالية والتعبيرية.

إن أبا الصلت فيلسوف وشاعر و في هذا المقال سأدرس الشاعر لا الفيلسوف، لا أدرس أفكاره الفلسفية ومناهجه في البحث الفلسفي وإنما أدرس تجربته الشعرية العادية، ولا شك أن هذه التجربة الشعرية تتأثر بأفكاره وتتشبع بها ولكنها ليست فلسفة، والهدف منها ليس هدفا فلسفيا، ومنهجها ليس فلسفيا، فطريقة الوصول إلى المعرفة فيها إشراقية حدسية، وأساليب التعبير عنها فنية إيحائية مشحونة بالعواطف والذاتية، وهي تجربة شعرية متميزة بقيمها الفكرية والجمالية والشعورية، ومتميزة كذلك بخصوبتها وتنوعها، ومع ذلك لم تحظ بعناية الدارسين.

وصف نهر

يصف أبو الصلت نهرا فيقول:

حسام ماء إذا كف الصبا انبعثت لصقله تركت في متنه شطبا
صفا ورق فكاد الجو يشبهه لو أن جوا جرى في الروض وانسكبا(72)

تشبيه النهر بالحسام في البريق واللمعان والصفاء من شأنه أن يقزم النهر، والشاعر يبحث فيه عن شبيه للنهر ولا يهم إن كان صغيرا أم كبيرا، ولذلك فالعلاقة بين الشاعر والنهر والحسام بارده لا حرارة فيها ولا انفعال، وحتى هذه البراعة التي يظهرها الشاعر في تنسيق الصورة بعد ذلك لا تفلح في بعث الدفء والحياة فيها، إذ يبقي التصوير حسيا بعيدا

عن انفعال الشاعر بالمنظر والمشاركة له وجدانيا، فالريح التي تصقل ماء النهر صورة نمطية ومحاولة الشاعر لجعلها متميزة، عندما صور صفحة الماء غير مستوية بل فيها طرق، إنما هي محاولة لم تخرج الصورة من نمطيتها ولم تميزها عن غيرها فبقت حسية بعيدة عن الشاعر، تعتمد الرسم المتقن الخالي من الانفعال والأحاسيس. ثم يعمد إلى صورة افتراضية يحاول بها أن يبين صفاء النهر ونقاءه ولطافته فيشبهه بالجو إذا ما تحول الجو إلى سائل وانساب بين الرياض، صورة خيالية بنيت عقليا وزخرفت لإعداد نظير مشابه لصفاء النهر.

وصف القصور والدور

كثرت العمارة في الأندلس وتفنن أصحابها فيها فشادوا الدور والقصور وتأنقوا في بنائها وتزيينها وفرشها وتنافسوا في ذلك، قال ابن اليسع: «وربما لقي المسافر فيها اليوم الواحد أربع مدائن ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى، وهي بطاح خضر وقصور بيض»[73].

إن هذه القصور الشامخة الباذخة التي أسرف أصحابها في بنائها، واتخذوها منتجعات للراحة وللاستغراق في حياة اللهو والترف والتي أتقن الفنانون هندستها ودعموها بمرافق كالحدائق والبرك، هي التي كان الشعراء يصفونها. ومن الفلاسفة الشعراء الذين وصفوا القصور والأبنية الشاعر أبو الصلت، وهو الذي تنقل بين الأندلس ومصر والمهدية وبقي في كل منها عشرين سنة خبر فيها الناس والعمارة، فقال يصف قصرا بناه الحسن بن علي بن يحي بن تميم بن المعز العبيدي وسماه «منزل العز»[74]:

منزل العز كاسمه معناه	**لا عدا العز من به سمتاه**
منزل ودت المنازل في أعلى	**ذراه لو صيرت إياه**
فأجل فيه لحظ عينك تبصر	**أي حسن دون القصور حواه**
سال في سقفه النضار ولكن	**جمدت في قراره الأمواه[75]**
وبأرجائه مجال طراد	**ليس تنفك من وغى خيلاه[76]**
كمحيا الحبيب حرفا بحرف	**ما تعدى صفاته إذ حكاه**
ورده وجنتاه، نرجسه الفتتان	**عيناه، آسه عارضاه**
وكأن الكافور والمسك والطيب	**وفي اللون صبحه ومساه**
منظر يبعث السرور ومرأى	**يذكر المرء طيب عصر صباه[77]**

يفتتح الشاعر نصه بالدعاء لصاحب القصر، ويشتق له من اسم القصر «منزل العز» معنى يدعو له به وهو دوام العز، وينتقل بعد ذلك مباشرة إلى وصفه، ويبدؤه برؤة كلية عامة تشيد بمنظر القصر وجماله وروعته حتى أن المنازل حسدته وودت لو أنها صارت هي القصر، وينهي النص برؤية كلية عامة له تبين فرط الإعجاب به والفتنة بجماله وروعته، وتصور كيف أنه بعث البشر والإشراق في نفسه وأهاج له ذكريات صباه. إن النظرة الكلية الأولى للقصر تختلف عن النظرة الكلية الثانية له، ذلك أن في الأولى عموما لا تتضح فيه الجزيئات، والإعجاب به فيها مصدره الوجه الظاهري فقط، وفي الثانية تتضح تفاصيل القصر وجماله وجلاله والإعجاب به فيها مصدره القصر بكل مكوناته الداخلية والخارجية. وانطلاقا من النظرة الكلية العامة التي لا تتضح فيها الجزيئات يشرع الشاعر في وصف القصر جزءا جزءا، ومنظرا منظرا في أسلوب تحليلي يفكك الكل إلى قطع ليتأمل كل قطعة وحدها، فيصف السقف والأرضية، ويسهب في تصوير المناظر المرسومة على الجدران، ولعله في ذلك يتقفى أسلوب البحتري في وصفه لصورة أنطاكية في سينيته الشهيرة التي مطلعها:

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدى كل جبس(78)

إن الشاعر يهزه المنظر وينتشي فيجد شبها بين جمال القصر في جزيئات وجمال الحبيب، فكل قطعة منه تذكره بما يلائمها من الحبيب، فورد القصر ذكره بخدود الحبيب، ونرجسه بعيونه، وآسه بقده، وعطره بشذاه. وهي نظرة تفكيكية تجزيئية تسعى إلى الربط بين شيئين ربطا تعجبنا براعة الشاعر فيه ولكنه لا يؤثر فينا لأنه لا ينقل إحساسا ولا يصهر الصورة انفعال جارف يوحد القطع المتناثرة. ثم يعود الشاعر في نهاية النص ليركب صورة كلية للقصر وأثره في نفسه ولعله في هذا النص انتقل من الكل إلى الجزء واصفا محللا ثم عاد فركب الصورة من الجزء إلى الكل.

إن حضور القصر في النص حضور مكثف فقد ذكر بالاسم الظاهر مرتين «منزل العز، منزل» ثم توالت الإشارة إليه بالضمير النائب عن الاسم الظاهر خمس عشرة مرة وذلك يدل على الحضور المستمر المتميز للقصر في عمق الشاعر وعلى الإعجاب الشديد والاستغراق الكلي فيه، غير أن هذا الاستغراق وهذا الإعجاب لم يظهرا في شكل عاطفة جياشة تنم عن مشاركة وجدانية بين الشاعر والقصر وإنما بقي الوصف خارجيا بصريا، ويظهر ذلك من خلال المفردات الدالة على البصر، أو الصور المرئية. ومن المفردات الدالة

على الرؤية البصرية: «لحظ، عينيك، تبصر، تبصر، تبصر، ترى، مرآه، عيناه، منظر، مرأى». أما الصور التي توحي بالرؤية البصرية وتؤكد الإدراك الحسي لها فهي كثيرة في النص نذكر منها: «سال في سقفه النضار»، «جمدت في قراره الأمواه»، وكل الصور التي وظفها لنقل ما رسم على جدران القصر من مناظر، «ورده وجنتاه»، «نرجسه عيناه»، «آسه عارضاه».

إن الوصف الحسي البصري غالب على النص والمقارنة بين جمال القصر وجمال المحبوب كانت في الصفات التي يغلب عليها الجانب البصري الحسي ولم ترق إلى المشاركة الوجدانية والانفعال العاطفي.

ويوجد في النص بعض الثنائيات الضدية في بعض الكلمات وهي ما يسمى بالطباق مثل: «سال/ جمدت»، «سكنات/ حركات»،«اختلاف/ اشتباه»، «صبحه/ مساه» ووظفت من الشاعر لإبراز جمال القصر، فالضد يكشف سر جمال الضد ويوضحه أكثر، ولإظهار التنسيق والروعة والإبداع في الجمع بين المتضادات في شكل جميل، ولإبراز عاطفة الشاعر تجاه ما يرى من صور، وانفعاله أمام الصورة، وإعجابه بها، مما يجعله في حالة عدم استقرار وتسارع بين مد وجزر.

وفي نص آخر لأبي الصلت يصف فيه قصرا بناه علي بن تميم بن المعز العبيدي، لا يخرج فيه عن الطريقة التي رسمها وهي الانطلاق من الكل إلى الجزء ثم من الجزء إلى الكل والاعتماد على الحاسة البصرية في إخراج الصور، والبحث عن نظائر تشبه أجزاء القصر لتوظيفها يقول:

لله مجلسك المنيف قبابه بموطد فوق السماك مؤسس(79)

موف على حبك المجرة تلتقي فيه الجواري بالجواري الكنس(80)

تتقابل الأنوار من جنباته فالليل فيه كالنهار المشمس

عطفت حناياه دوين سمائه عطف الأهلة والحواجب والقسي

واستشرفت عمد الرخام وظوهرت بأجل من زهر الربيع وأنفس(81)

فهواؤه من كل قد أهيف وقراره من كل خد أملس

فلك تحير فيه كل منجم وأقر بالتقصير كل مهندس

فبدا للحظ العين أحسن منظر وغدا لطيب العيش خير معرس(82)

إن براعة الشاعر في الوصف، والمهارة الفنية الفائقة، والتمكن من اللغة وتصريفه لها كيف شاء، أمور بارزة ولا تخفى عن الباحث في هذا النص، ولكنه في ما يبدو لي، أثقل

على نفسه وعلى المتلقي في البحث عن أشباه لموصوفاته، وتأمل قوله: «عطف الأهلة والحواجب والقسي» فهو يشبه بها انعطاف حنايا القصر، والجامع بينها وبين القصر هو الانعطاف، وهي فيما بينها يجمعها الانعطاف أيضا، ولكن الأهلة والحواجب والقسي تختلف اختلافا جذريا والجامع بينها هو الشكل فقط وبه أغرم الشاعر فوظفة.

إن الشاعر ينتقل انتقالا سريعا بين ظواهر متباينة ويربطها ببعضها اعتمادا على جانب شكلي بصري بحت، وحتى الجانب الشكلي نراه يجمع بين الصغير والكبير، الهين والعظيم، القريب والبعيد، على اختلاف في المفاهيم والدلالات. وكذلك نجد الشاعر يعمد إلى المساواة بين شطري البيت في الوصف، فعندما يصور شيئا، أو يعبر عن فكرة في الشطر الأول يلزم نفسه بتصوير شيء أو التعبير عن فكرة في الشطر الثاني تقابل ما جاء في الشطر الأول وكأنه يبحث عن توازن في الوصف بين شطري البيت، يقول مثلا:

فهواؤه من كل قد أهيف   وقراره من كل خد أملس(83)

إن الشطر الأول له ما يقابله في الشطر الثاني بطريقة أقرب ما تكون إلى الميزان يلعب فيها الترصيع دورا مهما في ثنائيات موزعة بين الشطرين بالشكل التالي: «فهواؤه/ وقراره»، «من/ من»، «كل/ كل»، «قد/ خد»، «أهيف/ أملس»وهي تضفي على النص نوعا من الإيقاع الخارجي المنوع، وتصرف الشاعر إلى الصنعة العقلية بما يؤثر سلبا على التفاعل الوجداني مع الموضوع ولا يحقق التحام الذات به، بل يجعل الذات بعيدة عنه تصوره من الخارج. وقد وجدت لهذا الشاعر نصوصا متعددة في وصف القصور والدور(84).

وصف الأسلحة والخيل

ومن الموضوعات التي شغلت بال الشعراء في الأندلس فوصفوها وأكثروا فيها القول موضوع وصف الأسلحة والخيل، ولا غرابة في ذلك، فقد كانت الأندلس مسرحا للجهاد في سبيل نشر الإسلام، والتمكين له، والدفاع عن حماه، ورد هجمات العدو، وكانت حربا لا تهدأ، بالإضافة إلى الفتن التي كانت تثور بين الفينة والأخرى، بسبب المناصب أو بسبب العصبيات، وهذا ما جعل الأسلحة حاضرة حضورا مستمرا، وما جعل الشعراء يكثرون من وصفها، يقول أبو الصلت في وصف السيف:

ومهند عضب الغرار كأنما   درجت صغار النمل فيه دبيبا(85)

ذكر الكمي مضاءه في وهمه   فرأيته بنجيعه مخضوبا(86)

يؤكد الشاعر على مضاء السيف وفاعليته في البتر والفتك، وهو مضاء لا حد له حتى أن مجرد توهمه يجعل الدم سائلا وكأن القطع وقع فعلا، وهي مبالغة للتعظيم والتهويل من حدة هذا السيف. واهتم أبو الصلت بوصف الخيل وأظهر براعة وإبداعا ومن ذلك قوله في وصف جواد:

سبق البروق وجاء يلتهم المدى فثنى الرياح وراءه تشكو الوجى[87]

وعدا فألحق بالهجائن (لاحقا) وأراك (أعوج) في الحقيقة أعوجا[88]

كالسيل مجته المذانب فانكفا والبحر هزته الصبا فتموجا[89]

ومشى العرضنة بالكواكب ملجما مما عليه وبالأهلة مسرجا[90]

وظف الشاعر مجموعة من الصور لإبراز سرعة الحصان وهيئته، والعلاقة فيها لا تكتفي بالتشابه الخارجي البصري بين الحصان وبينها، بل تتعدى المشابهة الشكلية إلى العمق الدلالي للصورة. إن البرق والريح من الظواهر الكونية الهامة في الوجود وتمتاز كل ظاهرة منهما بخصائصها ودلالتها، والحصان ظاهرة حيوانية ثالثة تتميز عنهما، وقد جمع الشاعر بين هذه الظواهر الثلاث في السرعة، وجعل الحصان يتفوق عليهما فيها، فهو خاطف كلمع البرق، سريع كوفد الريح. ثم يبالغ الشاعر فيجعل العلاقة ليست المشابهة وإنما الأفضلية، لتعظيم الحصان وتهويل سرعته، فترتقي به إلى سرعة أسطورية ليست لحصان عادي، ومنافسته لهذه الظواهر الكونية «البرق، الريح» يدعم فكرة أسطورية الحصان، وهيئته التي يبدو عليها من خلال قوله: «يلتهم المدى» عظيمة، طاقتها غير محدودة، وقوتها لا نهاية لها، وكلمة «المدى»تشير إلى هذه المسافات والأبعاد اللانهائية. وفي إحالة خاطفة من الشاعر ينقلنا إلى عمق الصحراء في العصر الجاهلي وبالضبط إلى أجود حصانين فحلين تمثلت بهما العرب «لاحق وأعوج»، واعتدت بهما وصنفتهما ذروة هذا النوع، واتخذتهما أصلين فحلين لجياد الخيل، إن هذا الحصان تفوق عليهما وسخر منهما فصار «لاحق» بالنسبة إليه هجينا غير عتيق، وهو في الذاكرة العربية أعتق الجياد حتى صار رمزا للعتق، وأصبح «أعوج»، وهو أسرع الجياد وأكملها، متخلفا أعرج. إنهما ليسا أصلا له فهو أكبر في جريه مما استوعبته الذاكرة العربية، إنه أسطوري الجري والصفات، ولذلك يشبهه بالسيل في تدفقه، وفي السيل تجتمع الروعة والرهبة، الحياة والموت، السكون والهيجان، القوة والليونة، ويشبهه بالبحر، وفي البحر العمق والرحابة والسكينة والجلال

والجود، وفيه الخطر والرهبة والهياج والاضطراب، وهو مرتبط بالسماء ملجم بالكواكب مسرج بالأهلة.

إن الشاعر انتقل من وصف حصان عادي إلى حصان مثالي لا وجود له في الواقع فقد ارتقى بصفاته إلى الحد الذي جعله حصانا أسطوريا. و في نص آخر يقول أبو الصلت واصفا حصانا أحمر ذا غرة:

كأن الصباح الطلق قبل وجهه وسال على باقيه صافية الخمر
ولما رآه الورد يحكيه صبغة تعاظم واستعلى على سائر الزهر
كأنك منه إذا جذبت عنانه على منكب الجوزاء أو مفرق النسر[91]
كأنك، إذا أرسلته، فوق موجة تدفعها أيدي الرياح إلى العبر[92]

ينتقل الشاعر من صورة إلى أخرى بسرعة ودون أن تنتمي هذه الصور إلى وحدة أو يصهرها انفعال واحد سوى أنها تشبه أعضاء أو صفات من الحصان، فاللون الأبيض في جبهة الحصان قبلة من الصباح، وهو بذلك شخص الصباح فجعله طلقا وجعله يقبل، واللون الأحمر لباقي الحصان مأخوذ من لون الخمر الأحمر، وكذا لون الورد الذي صار يتباهى بلونه لكون اللون الأحمر يجمعه وهذا الحصان المتألق، وهو عند امتطائه كأنما امتطيت النجم المضيء الثاقب، وإذا انطلقت به كأنما أنت راكب موجة من الأمواج تدفعها الرياح. إن الشاعر ينتقل من الصبح إلى الخمر إلى الورد إلى النجم إلى الأمواج، ويأخذ من هذه الظواهر ما يلائم ما في الحصان من صفات، وهو ما يجعل الحصان مجزأ ويحرم النص من مشاكلة الصور لبعضها.

ونلحظ أن صورة الحصان في هذا النص لها علاقة بالسماء والبحر وهو ما مر بنا في النص الآنف وذلك يوحي بالتعظيم والتهويل، وينقل الحصان إلى مستوى أسطوري. وطبيعة الصورة في هذا النص لا تكاد تخرج عن علم البيان، فقد شخص الصباح وجعله كالإنسان المشرق الطلق يقبل جبهة الحصان«الصباح الطلق قبل وجهه»، ودلالة الاستعارة وصف غرة الحصان بالبياض ووضوح هذه الغرة وضوح ضوء الصبح، كما تكشف عن التحام بين الصباح والحصان، إذ أن الحصان صار يحمل جزءا منه، والصباح منير مشرق في عنفوان اليوم وهو هازم الظلام وباعث النور، وناشر الدفء والحياة، وكل هذه الصفات تنقل إلى الحصان بانتقال جزء من الصباح إليه.ووظف الكناية عن صفة اللون الأحمر لبقية جسم الحصان عدا الغرة«سال على باقيه صافية الخمر»، ودلالتها تحديد اللون الأحمر،

وهي تكشف عن المرح والعبث والنشوة في الوسط الذي أخذت منه والوسط الذي أشارت له «الحصان».وشخص الورد وجعله يحاكي ويتعاظم ويستعلي«رآه الورد.. »، ودلالة الاستعارة التأكيد على اللون الأحمر وكأنما الصورة الأولى «لون الخمر الأحمر» لم تحقق الغرض فدعمها بلون الورد، غير أن الورد مرتبط بالجمال والعطور والحب والمحبين وهي معان قد لا نجدها في الخمر ويريد الشاعر أن يدعم بها صورة الحصان. وشخص الجوزاء فجعلها كالإنسان لها منكب «منكب الجوزاء» ودلالتها الرفعة والعلو والعزة وتحديد المكان. وشخص الرياح فجعلها كالإنسان له أيد يدفع بها «أيدي الرياح» وهي تدل على قوة الدفع وشدته. وفي البيتين الأخيرين تشبيهان الأول تشبيه امتطائه بالركوب على منكب الجوزاء والثاني تشبيه انطلاقه في السير بركوب موجة تدفعها رياح شديدة، وهي صفات تشخص في الحصان الضخامة والقوة والروعة في شيء غير قليل من المبالغة.

الطبيعة والمرأة

لقد وجد الشعراء في الطبيعة مجالا واسعا متنوعا يشحذ الخيال ويوقظ الإحساس وينبه الفكر، ونبعا غزيرا يغرفون منه الصور والأدلة والحكم، ومكنهم هذا الثراء والخصب من الاختيار والانتقاء، فتأنقوا في الصفات الطبيعية التي يشبهون أعضاء محبوباتهم بها، وتنافسوا في ذلك واختلفوا، لكن الصورة في عمومها أخذت طابعا نمطيا مطردا، عضو من المرأة يشبه شيئا من الطبيعة، أو المرأة كلها تشبه ما يماثلها من الطبيعة، ويجنحون أحيانا إلى تشبيه الطبيعة بالمرأة مما يبعث فيها رعشة الحياة، وفي هذا يقول أبو الصلت:

بيضاء فضلها في الحسن خالقها فأصبحت وهي في الأرواح تحتكم
سكرى من الدل لكن ما بها سكر سقيمة اللحظ لكن ما بها سقم
كروضـ الحزن في رأد الضحى خطرت بها الصباحين روت تربها الديم[93]
ليست تزور وإن زارت لنم بها برق من الثغر يبدو حين تبتسم[94]
بانوا فأي بدور عنهم غربت بمغرب، وغصون ضمها إضم[95]

يشبه هذه المرأة بالروضة ثم يستطرد في رسم صورة المشبه به «الروضة» مما يجعله خاصا متميزا، فيذكر أن هذه الروضة في أرض خصبة مما يجعلها أوفر نباتا وأزهارا، وأكمل نموا وأكثر عطرا، ثم يحدد الوقت الذي تكون فيه أشد إشراقا وأعمق سحرا وجاذبية وجمالا، وأبين وأوضح، ثم يضيف بأن الديم قد روتها، وما كل هذا الإطناب في رسم صورة المشبه به إلا لينعكس على صورة المرأة التي يصفها. ثم يشبه صفاء أسنان المرأة وبريقها

بالبرق، وقدها بالغصن، ووجهها بالبدر، وهذه الصفات متداولة بين الشعراء. ويقول في نص آخر يجمع فيه صورا من الطبيعة تشخص صفات المرأة الحسية منها والمعنوية:

الردف منها كالنقا والقد كالغصن النضير(96)

حكت الزمان تلونا لمحبها العاني الأسير

فوصالها برد الأصيل وهجرها حر الهجير(97)

فالصفات الحسية في النص هي: «الردف كالنقا» و«القد كالغصن»، وهما صفتان نمطيتان في الغزل الحسي.

ثم وصفها كلية بالزمان في تقلب صروفه وتبدل أحواله «حكت الزمان تلونا» فهي مثله متلونة متقلبة، وفي هذه الصورة إشارة إلى معاناته القاسية معها. ومن الصفات المعنوية التي شبهها بصفات حسية من الطبيعة: «الوصل كبرد الأصيل» و«الهجر كحر الهاجرة». ونجد الشاعر يبالغ فيدعي بأن الأعضاء التي يصورها هي نفسها نظيرتها من الطبيعة لا فرق بينهما، ولهذا كثيرا ما يعتمد التشبيه البليغ كما هو وارد في البيت الأخير من النص السابق:

فوصالها برد الأصيل وهجها حر الهجير(98)

وفي قوله أيضا:

رشأ جعلت له ضلوعي مرتعا ومدامعي وردا فلم يتأنس(99)

فقوله: «ضلوعي مرتعا» و «مدامعي وردا» تشبيهان بليغان يدعى فيهما الشاعر بأن المشبه هو نفسه المشبه به، فالضلوع ليست كالمرعى الخصب وإنما هي المرعى الخصب نفسه وكذلك المدامع ليست كالمورد وإنما هي المورد نفسه. وقد يتوسل إلى الوصول إلى المبالغة أكثر بتوظيف الاستعارة ففي البيت السابق استعارة في قوله: «رشأ» ادعاء منه بأن المرأة هي الغزال نفسه.

الطبيعة والممدوح

وظف أبو الصلت الطبيعة لإبراز صفات ممدوحيه، وتشخيصها، والتنويه بها، ومن ذلك قوله:

مستلئمين إذا شاموا سيوفهم شبهتها خلجا مدت بها غدر(100)

قوم تطول بيض الهند أذرعهم فما يضير ظباها أنها بتر(101)

إذا انتضوها وذيل النقع فوقهم فالشمس طالعة والليل معتكر(102)

ترتاح أنفسهم نحو الوغى طربا كأنما الدم راح والظبى زهر[103]

يجمع الشاعر بين صور مشرقة لممدوحيه، بصور مضيئة من الطبيعة مما يزيد الصورة الأولى نضارة وحسنا، ويشخصها في ظواهر طبيعية جليلة محسوسة وبذلك يتوشح الممدوح بالطبيعة ويتوسم بها.

إن صورة الفرسان المدرعين وهم يلوحون بسيوفهم البارقة «مستلئمين إذا شاموا سيوفهم» بحث لها عن نظير من الطبيعة ليقرب المنظر، ويوضحه، ويشخصه، ويبدي روعته، فشبهها بماء واسع المساحة ممتد في اليابسة تتصل به غدران كثيرة لامعة كلما سقط عليها الضوء، وفي الصورة تشبيه تمثيلي صورته الأولى هي الممدوحون مكونة من جزئين: الفرسان وهم يلبسون الدروع فيظهرون قطعة واحدة واسعة مترامية، وفي أيديهم السيوف المشرعة اللامعة، وصورته الثانية قطعة مسطحة واسعة من الماء اللامع المستوي تتصل بها قطع ممتدة من الغدران اللامعة. أما الصورة الثانية التي اعتنى برسمها في البيت الثالث ففيها تشبيه تمثيلي أيضا، صورة المشبه فيه هي الممدوحون ينتضون السيوف وغبار المعركة يغطيهم أو يكاد، وصورة المشبه به انتقاها الشاعر من الطبيعة وتتمثل في صورة الشمس وهي طالعة لكن في جو يملؤه الغبار. والصورة «والليل معتكر» تعبير مجازي شبه فيه الغبار بالليل لكثافته وحجبه الأشياء فصار كالليل، ودلالة الصورة التهويل والتعظيم لما رآه من عدة الممدوحين وعددهم، ذلك أن السيوف وفيرة العدد حتى صار سناها كالشمس، والغبار المتطاير من خيل الفرسان وعتادهم صار كالليل البهيم مما يؤدي إلى كثرة العدد والعتاد. وفي الصورتين الأخيرتين في البيت الأخير يوظف التشبيه البليغ «الدم راح» و«الظبى زهر» وطرفا الصورة فيهما مأخوذان من الطبيعة، المشبه والمشبه به، غير أن صورة المشبه في كليهما مستمدة من الحرب والمعارك، وصورة المشبه به مستمدة من الطبيعة المشرقة اللاهية السعيدة، ودلالة الصورة في إظهار شدة شوقهم إلى الحرب والمعارك وإبراز سعادتهم وهو يخوضونها، فهم يشتاقون إلى سفك دماء الأعداد ويسعدون بذلك ويتلذذون وينتشون كما يسعد شارب الراح وينتشي، والسيوف بالنسبة إليهم أزهار يتزينون بها ويتمتعون بعطرها.

وصف مجالس الأنس

تحولت مجالس الأنس إلى ظاهرة اجتماعية في الأندلس في نهاية الدولة الأموية في الربع الأول من القرن الخامس الهجري، وشاعت وعمت في القرن الخامس والسادس

الهجريين، وشارك فيها الخاصة والعامة. أما الخاصة فكانت مجالسهم في القصور، أو في زوارق على الأنهار تحف بها السفن يشارك فيها الأمراء والأعيان من ذوي السلطة وبعض الشعراء وأهل الموسيقى. وأما مجالس العامة فتعقد في الرياض على ضفاف الأنهار كما وضح ذلك عبد العزيز عتيق في كتاب الأدب العربي في الأندلس(104)، وفيها يكثر شرب الخمر، وسماع الموسيقى والغناء، وينتشر اللهو ويمتزج كل ذلك بالطبيعة الجميلة. ويصور الشعراء هذا الجو الذي تمتزج فيه الطبيعة بالغناء والموسيقى والخمر والمرأة في حياة لاهية عابثة سكرى، وفي ذلك يقول أبو الصلت أمية مغريا صديقا له بارتياد المجلس الذي يصفه له:

<u>الهوامش:</u>

* هذا الجزء تابع لما نشر في مجلة المخبر العدد الثالث.

72- نفسه: ص234.

73- حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المكتبة البولسية، بيروت لبنان، ط9،د ت، ص789.

74- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م1، ص496/497.

75-النضار: الذهب، والخالص من كل شيء.

76- الوغى: الحرب، وسميت بذلك لما فيها من جلبة وأصوات، لأن أصل الوغى: الجلب

77- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م1، ص496/497.

78- البحتري أبو عبادة الوليد بن عبيد: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، دت، ص190. والدنس: الوسخ، وكل ما يشين. الجدي: العطاء. الجبس: اللئيم، الجامد الثقيل الروح، المتبختر.

79- المنيف: المرتفع العالي، المبالغ في ذلك. وموطد: مثبت بقوة، راس مكين. والسماك: نجمان نيران أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب وهو السماك الأعزل، ويقصد بأن القصر مبني في مكان عال.

80- أوفى، يوفي، فهو موف على المكان: مشرف عليه. وحبك: جمع مفرده حبيكة وهي مسير النجم. والجواري الأولى: الحسان من الإماء، والجواري الكنس: النجوم التي تضيء في مجراها ثم تنصرف راجعة.

81- استشرفت: انتصبت وعلت.

82- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م1، ص497.

83- المصدر نفسه: ص497.

84- العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج1، ص234، 259، 280، 293. و ج2، ص 307، 329.

85- مهند: السيف المصنوع من حديد الهند وكان من أفضل الحديد. وعضب: قاطع باتر. والغرار: حد السيف، وشفرته الماضية.

86- العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج2، ص230. والكمي: الفارس الشجاع. والنجيع: دم الجوف.

87- الوجى:رقت قدمه أو حافره أوخفه من كثرة المشي.

88- لاحق والأعوج: جوادان مشهوران فحلان يضرب بهما المثل في الجاهلية. قال بشر بن أبي خازم:

وبكل أجرد ذي ميعة متحامل في آل أعوج ينتمي.

وقال طفيل بن عوف:

بنات الوجيه والغراب ولاحق وأعوج تنمي نسبة المنتسب.

89- مج الماء: لفظه من فمه ورماه. - المذانب جمع مفرده مذنب وهو مسيل الماء إلى الأرض.

90- العماد الاصفهاني: خريدة القصر، ج1، ص248. العرضنة: العرضية: النخوة والإباء، ومشى الفرس العرضية: بالعرض راقصا.

91- الجوزاء: برج من أبراج السماء. والنسر: كوكبان هما النسر الطائر والنسر الواقع.

92-العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج1، ص270.

93- الحزن من الأرض: ما غلط وخصب. ورأد الضحى: انبسطت شمسه وارتفع نهاره. و الديم جمع مفرده ديمة وهي المطر يطول زمانه في سكون.

94- نم: كشف عنها وأظهرها.

95- العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج1، ص315.

96- النقا: الكثيب من الرمل.

97- العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج1، ص274.

98- نفسه: ص 274.

99- نفسه: ص 278.

100- مستلئمين: استلأم الفارس، لبس لأمته، أي لبس درعه. وشام الفارس سيفه إذا سله فبرق ولمع. وغدر: جمع مفرده غدير وهو الماء المتجمع بعد سقوط المطر.

101- الظبى: جمع مفرده ظبة وهي حد السيف وشفرته الماضية.

102- انتضوها: أخرجوا السيوف من أغمادها ورفعوها.

ومعتكر: اشتد سواده والتبس.

103- العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج1، ص266.

104- عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، ص308.